العدل

العدل، ضد الظلم والجور، ويعني الوسطية والتوازن المدرك بالبصيرة، والذي يحقق الإنصاف بإعطاء كل إنسان ما له وأخذ ما عليه منه.

والعدل هو: الحق، ومجاوزته ظلم وجور. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (١)

والظلم: مفسد لشئون الدين والدنيا، ولذلك فإنه ظلمات يوم القيامة، كما قال ﷺ: « اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». (٢)

وإذا كان التوحيد هو عماد العقيدة؛ فإن **العدل هو عماد الشريعة**، وهدف كل الشرائع السماوية قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (٣)

والعدل في ديننا ليس مجرد حق من الحقوق التي باستطاعة صاحبها التنازل عنها إذا هو أراد، أو التفريط فيها دون وزر وتأثيم، **وإنما هو فريضة واجبة فرضها الله سبحانه وتعالى على الكافة دون استثناء، فقد فرضها الله عز وجل على رسوله ﷺ** وأمره بها وذلك في قوله سبحانه: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الشورى الآية (٤٢).

(٢) صحيح مسلم ك البر ، ومسند الإمام أحمد (٢/٩٢).

(٣) سورة الحديد الآية (٢٥).

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (١)

وقال ﷺ : « إذا حكمتم فاعدلوا » (٢) .

وبين رسول الله ﷺ فضل الإمام العادل وعظم منزلته وثوابه.

قال ﷺ : « إنَّ أحبَّ الناسِ إلى اللهِ يومَ القيامةِ وأدناهُم منهُ مجلسًا إمامٌ عادلٌ وأبغضَ الناسِ إلى اللهِ وأبعدَهم منهُ مجلسًا إمامٌ جائرٌ » . (٣)

وقال ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » (٤)

وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » (٥)

لذا فمن الواجب على الولاة أن يحرصوا على العدل ويلتزموا به.

---

(١) سورة النساء الآية (٥٨) .

(٢) صحيح الترغيب (٢٤٧٢) وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط . قال الهيثمي : رجاله ثقات ، وهو في الصحيحة (٣٤٣٥) والسلسلة الصحيحة للألباني (٥٧٠)

(٣) حسن لغيره . أخرجه الحاكم . وقال : حديث حسن غريبا لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وأخرجه الإمام أحمد (٣/٢٢ ، ٥٥) وحسن إسناده الشيخ شاكر . أدب القاضي

(٤) حسن لغيره . أخرجه الترمذي . وقال الترمذي هذا حديث حسن

(٥) صحيح لغيره . أخرجه البخاري ، ومسلم ، وغيرهما

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليحذروا من التفريط في ذلك، حتى يكونوا محافظين على رعيتهم غير مفرطين بما عليهم تجاههم. وأن يحذروا غشهم وخداعهم وخيانتهم، لأن الرسول ﷺ قد توعد من يفعل ذلك من الولاة مع رعيته بالخسران المبين، واللعنة من الله والملائكة والناس أجمعين وبالتالي حرمانه من الجنة.

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(1).

وفريضة على الكل فلم يكفف الإسلام بأمر الرسول ﷺ والولاة بالعدل مع الرعية، بل إنه أمر كل فرد في المجتمع ابتداء من الحكام وانتهاء بالمحكومين بل والإنسان مع نفسه بالعدل.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(2)

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(3)

---

(1) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: قوله: (حرم الله عليه الجنة) محمول على المستحل، أو حرم عليه دخولها مع الفائزين السابقين ونحو ذلك مما تأوله العلماء. قال القاضي عياض رحمه الله: اتفقوا على أن في الحديث من استرعاه الله تعالى شيئا من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، ولم يحطهم، ولم يحمهم، ولم يحسن عليهم فلم يصح فيما قلده به ما يجب لهم، وأخل بما يلزمه من حقوقهم، وأنه متوعد فيما أخل به وأخلد إليه من ذلك لكل بحسبه إلا أن يتوب أو يتدارك ما فرط فيه أو يعفو الله تعالى، وأن من لم يصلح منهم لشيء من ذلك أو لم يقم بما يجب عليه من حفظ الرعية وحسن السياسة فإن الله تعالى يحرمه الجنة. أو لا يجد ريحها مع أول الفائزين. أو لا يجد ريحها أصلا. أو لا يدخلها مع المتقين. أو لا يدخلها من أول وهلة. أو لا يشم ريحها. أو لا يدخلها إن استحل. أو حرم عليه دخولها على التأبيد. أو لا يدخلها إن لم يتب. قال القاضي: وكل هذه محتملة. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن أول من يدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره فمحال أن يحرم عليهم ما أبيح لغيرهم قال القاضي: وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أول من يدخل الجنة من الحكام العادل ومن الرعاة الصادق في رعيته ومن الأغنياء المتواضع ومن الفقراء القنوع ومن الأجواد المحسن ومن الشباب العابد ومن الأزواج العفيف ومن الأرقاء المطيع لربه ومن الأحرار المتواضع ومن الأغنياء المتواضع ومن الفقراء القنوع ومن الأجواد المحسن ومن الشباب العابد ومن الأزواج العفيف ومن الأرقاء المطيع لربه ومن الأحرار المتواضع

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1]

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[2]

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾[3]

ويقول عز وجل: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾[4]

ويقول سبحانه: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[5]

ويقول الرسول ﷺ: « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ — وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ — الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا »[6]

فهذه الآيات الكريمة السابقة والحديث الشريف وغير ذلك كثير وكثير في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فيها أمر بالعدل المطلق، والمساواة والإنصاف، بل والإحسان مع النفس ومع الغير من الناس، بل وحتى مع

---

(١) سورة المائدة الآية (٨)

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٢)

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٩)

(٤) سورة البقرة الآية (٢٨٢)

(٥) سورة النساء الآية (٣)

(٦) أخرجه مسلم في الإمارة ... آداب القضاة

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الأعداء والمخالفين في الدين، فالله عز وجل قد أمر بالعدل مع الأعداء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ (٢).

النهي عن الظلم

إذا كان الإسلام قد أمر الحكام والمحكومين بالعدل ليقيموه بينهم، فإنه من الطبيعي أن ينهى عن الظلم ويحرمه بصفة عامة وشاملة، كما أمر بالعدل بصفة عامة وشاملة، فكما أن العدل واجب على الكافة تجاه الكافة، فإن الظلم حرام على الجميع إزاء الجميع، بل إن الله عز وجل قد حرم الظلم على نفسه قبل أن يحرمه على غيره.

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا». (٣).

ويقول عز وجل في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤).

وأما ما ورد فيه نهي لنا عن الظلم، وتحذير وتخويف من اقترافه فمنه ما يلي:-

قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ...» (٥)

وقال ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ

---

(١) سورة المائدة الآية (٨).

(٢) سورة النساء الآية (١٣٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الشُّحَّ أهلكَ مَنْ كانَ قبلكُمْ ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ ». (١)

وقال ﷺ : « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » (٢)

وعَنْ أبي مُوسَى ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إذا أخذهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » . قالَ: ثُمَّ قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام "لمعاذ بن جبل" حينما بعثه إلى اليمن : « واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ؛ فإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ ». (٤)

وحكم سبحانه وتعالى بصيرورة الظالمين إلى عذاب النار ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ (٥)

وقال ﷺ : « من اقتطع أرض ظالمًا لقي الله وهو عليه غضبان » (٦)

ولم يكتف الإسلام بما سبق ، بل إنه حث على مقاومة الظلم والظلمة بشتى الطرق ، وبكافة الوسائل

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : « إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ح (٦٧٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض ونحوها ، ح (١٦١٠) واللفظ لمسلم ، ومعنى « طوقه » : أي : قلده ، والطوق : ما يجعل في العنق ، ويكسر الطاء ويكون كالطوق في عنقه .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، والآية من سورة هود ، رقم (١٠٢) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ح (١٩) .

(٥) سورة الفرقان الآية (١٩) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ، ح (٢٣٠) .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ ».[1]

وهكذا فإن الإسلام أمر كل فرد في المجتمع الإسلامي بالعدل حاكماً كان أو محكوماً ، ونهى عن الظلم من أي فرد حاكماً أو محكوماً، وحرمه، وأخبر الله تعالى أنه أعد لمن يظلم العذاب الشديد في الآخرة .

نماذج من العدل في الدولة الإسلامية الأولى

لما كان للعدل هذه الأهمية السابقة فإن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين — رضي الله عنهم — قد التزموا به ، ولم يحيدوا عنه، وها هي بعض النماذج الدالة على ذلك :

أولا : نماذج من عدل الرسول ﷺ

١ — عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ؛ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؟!». فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْتَطَبَ ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ:

« أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ».

ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يَدُهَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدُ وَتَزَوَّجَتْ، وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner